Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للغجر الرحّل والأحرار، وشموسهم المضيئة)) - (الرواية ١٦٥). ومن المعروف أن (الغجر) قوم بداة لم تفسدهم الحضارة المزيّفة، فهم يسيرون إلى مآربهم تحت الشمس بجرأة وبسالة، غير مشوبين بالتردد أو التراجع أو الهوان... وهم، فيما يُرْوَى عنهم، مخلصون فيما يعتقدون، وصادقون فيما يقولون، ألسنتهم مفاتيح قلوبهم. و (راوية) -بِنت الغجر- أشد الناس شبهاً بهم، ولهذا قال له أبوها: ((الغجر هم أسلافك)).

ولست أظن أن الروائيين يختارون فضاءاتهم، اختياراً مجانياً، لا دلالة فيه. وهم في هذا الباب أفرقاء، ففريق يميل إلى الفضاءات المغلقة بحيث لا تبرحها الشخصيات الروائية إمعاناً في تعميق حياتها الداخلية. وفريق آخر، على العكس، يدفع بأبطاله إلى المغامرة في الخارج والجري فوق السهوب والغابات- (انظر بحوث في الرواية الجديدة، لميشال بوتور ص٦١) وهذا مافعله حيدر حيدر مع (راوية) تماماً، وخاصة عندما أنهى روايته بقول الفراشة الزرقاء لـ (راوية) ((تعرّي من شرانق الحرير، وادخلي في فضاءات البحر)) - (الرواية ١٧٦).

(جـ)- الشخصيات:

ولو عدنا إلى نبوءة الغجرية حول مستقبل (راوية)، بوصفها توحي بمسارها ومصيرها، ونظرنا في تحققها في الرواية، للاحظنا أن هذه النبوءة تتحقق أو تكاد. فـ (راوية) كانت، مثل أبيها في عهده الأول، ثائرة متمردة، تسعى للحرية، وتؤمن بالتقدم، وترفض الذل والكبت والتخلّف... فكما تمرّد الأب على عقائد أبيه، بعد أن قرأ الكتب في (بيروت)، تمرّدت هي على انقلاب أبيها، وعلى قهر أخيها، وهربت من البيت ! فثمة هروبان في الرواية متناظران، الأول: قام به (بدر النبهان) مع أمه المطلقة إلى بيروت، والثاني: قامت به (راوية) إلى (قبرص)، حيث (ماجد زهوان). وقد بدأ صراع الأجيال بوضوح في الهروب الثاني، وهو صراع قام على موقفين متناقضين هما: الردّة والثبات، ففي الوقت الذي خلع فيه الوالد عباءة التمرد والتحرر، وعاد أدراجه إلى محافل الدين وشيوخ المذهب، استمرت (راوية) في ارتداء عباءة التمرّد والتقدم والتحرر... وها هي ذي الآن طالبة في جامعة (قبرص) تدرس علم النفس، وتربط مصيرها بـ (ماجد زهوان) وتحبّه حباً فذّاً، فيه شيء من طباع الغجر وتقاليدهم، وتؤسس معه علاقة، تقف على الطرف النقيض مع علاقة (علية ورضوان). ففي هذه العلاقة ترى (راوية) أن الجوهر هنا ليس في الشرع، بل